المحاضرة الرابعة: الفكر الحضري في التراث الفلسفي العربي

المقدمة: تأصيل الحديث والتنظير عن الفكر الحضري في الحضارات الإنسانية القديمة، لم يقتصر فقط على مفكري وفلاسفة العهد اليوناني القديم، بل نجد أثاره أيضا لدى الكثير من رواد الفكر الفلسفي العربي الذين أبانوا عن اهتمام كبير بهذا الجانب، كما يتبين لنا ذلك من خلال مجموعة متنوعة من أعمالهم، والتي سوف يتسنى لنا الوقوف على بعض تفاصيلها في هذه المحاضرة.

أولا. أبو نصر محمد بن محمد الفارابي (872– 951م): هو محمد بن محمد بن أوزلغ، وكنيته أبي نصر ولقبه الفارابي، نسبة إلى **فاراب** وهي منطقة في تركيا. والتي ولد بها حوالي سنة 259 هـ/873م. حيث نشأ بها وتعلم التركية والفارسية والعربية واليونانية والسريانية، ثم انتقل إلى بغداد فدرس علوم الفلسفة على يد أبي بشير. ويجمع مؤرخو العرب، على أن الفارابي كان أكبر فلاسفة المسلمين على الإطلاق، وأنه صاحب الفضل الأول على الفلسفة الإسلامية، حيث أنشأ مذهبا فلسفيا كاملا.

وقد ألف الفارابي معظم كتبه حسب رواية **بن خلكان**، خلال الفترة التي قضاها متنقلا بين عاصمة الخلافة العباسية **بغداد**، وعاصمة الخلافة الأموية **دمشق**. وانتشرت أعماله التي قدر عددها بستة عشر (16) مؤلفا في الشرق خلال القرنين الرابع (04) والخامس (05) الهجريين، ومن ثمة انتقلت إلى بلاد الأندلس والمغرب، والتي تناول فيها مجموعة متنوعة من المواضيع، كما هو الحال بالنسبة لكتابيه: "**أراء أهل المدينة الفاضلة**" و"**السياسات المدينة**" واللذان يبحثان في الفلسفة والاجتماع، بل قد تختلط هذه المباحث معا وتكاد تكون الآراء والعبارات في كلا الكتابين واحدة.

1. الوضع العام في زمن أبو نصر محمد الفارابي: عاش **الفارابي** في العصر العباسي الثاني، هو في الحقيقة عصر يموج بالأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية والحركات الدينية، حيث أصيب المجتمع الإسلامي في الناحية السياسية بالتمزق والانحلال واضطراب النظام، وعمت الفوضى بسبب دخول الأجانب من الترك والسلاجقة للبلاد العربية، واعتماد العرب عليهم في الجيش والإدارة، فكان ذلك كله على حساب العرب. فبقدر تدخل هؤلاء والاعتماد عليهم كان إقصاء العرب عن المراكز الحساسة في الدولة.

ففي هذه الفترة، كان الاضطراب في أرجاء المملكة الإسلامية قد بلغ ذروته، فلقد توزعت المملكة الإسلامية إلى عدد كبير من الدويلات والإمارات المتنافسة فيما بينها والمتناحرة في سبيل السيطرة، مما أطمع أعداء العرب والمسلمين فيها سواء من المغول أو البيزنطيون في الشرق، والفرنجة والاسبان في الغرب.

هذا الوضع، ترتب عليه سوء الحياة السياسية بكل مظاهرها ومقوماتها، ثم انعدام العدالة الاجتماعية حتى أصبح المجتمع الإسلامي ينقسم في داخله إلى قسمين، أحدهما يعاني الفقر المدقع، والأخر في قمة اليسر والترف.

2. **أنواع المجتمعات**: حسب **الفارابي، فإن** المجتمعات الإنسانية ليست واحدة، فمنها ما هو كامل ومنها ما هو غير كامل، واللذان يتفرع كل واحد منهما إلى مجموعة الأصناف الفرعية الآتية:

➢ المجتمعات الكاملة: وينطوي تحت هذا المعنى ثلاثة (03) أصناف وهي: العظمى والوسطى والصغرى، فالأولى هي جماعة أمم كثيرة تجتمع وتتعاون (المعمور الفاضلة)، والوسطى هي الأمة (الأمة الفاضلة)، والصغرى هي التي تحوزها المدينة (المدينة الفاضلة). والمدينة هي أول مراتب الكمالات.

➢ المجتمعات غير الكاملة (الناقصة): ويندرج تحت هذا الصنف، الاجتماعات في القرى والمحال والسكك والبيوت، ومنها ما هو أنقص جدا وهو الاجتماع المنزلي والذي يعد جزء الاجتماع في السكة، والاجتماع في السكة هو جزء للاجتماع في المحلة، وهذا الاجتماع هو جزء للاجتماع المدني. والاجتماعات في المحال والاجتماعات في القرى كلتاهما لأجل المدينة، غير أن الفرق بينهما يكمن في كون المحال أجزاء للمدينة والقرى خادمة للمدينة.

3. **أنواع المدن عند الفارابي**: يميز الفارابي في توصيفه للمدن بين نوعين منها، وهما:

3.1. المدينة الفاضلة: يعتبر الفارابي أن المدينة الفاضلة: "***هي ما تتحقق فيها سعادة الأفراد على أكمل وجه ولا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة، واختص كل منهم بالعمل الذي يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها بطبيعته***"، ويزيد على ذلك بقوله فهي: "***تشبه البدن التام الصحيح الذي يتعاون أعضاؤه كلها لتتميم حياة الحيوان***" وبذلك نجد عند الفارابي أيضا أصلا للنظرية الاجتماعية التي تمثل بين المجتمع الإنساني والجسد، وهو المبدأ الذي يستند إليه في نظرته لتقسيم المجتمع وترتيب طبقات المدينة، حيث يقول في هذه الصدد: "***وكما أن للبدن أعضاؤه مختلفة الفطرة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس هو القلب، وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء أخر فيها قوى تفعل فعلها حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة فهذه في المرتبة الثانية، وأعضاء أخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في المرتبة الثانية، ثم هكذا إلى أن تنتهي إلى أعضاء تخدم ولا ترؤس أصلا، وكذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات، وفيها إنسان هو رئيس وأخر يقرب مرابها من الرئيس وفي كل واحد منها هيئة وملكه يفعل بها فعلا يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس، وهؤلاء هم أولوا المراتب الأول، ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء، وهؤلاء هم في المرتبة الثانية، ودون هؤلاء أيضا من يفعل الأفعال على حساب أغراض هؤلاء، ثم هكذا يترتب***

أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى أخر يفعلون أفعالهم على حساب أغراضهم فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يخدمون ويكونون في أدنى المراتب ويكونون هم الأسفلون" . إلا ان **الفارابي** يكتفي بمجرد التمثيل والتشبيه ولا يسوي بين المجتمع والجسم، بل يسجل البون بينهما والمتمثل حسبه في: الإرادة التي تتصف بها الأفعال الإنسانية.

كما اهتم **الفارابي** أيضا بحاكم أو رئيس المدينة الفاضلة، فهو بالنسبة له كالقلب بالنسبة للجسم، لذا لا ينبغي أن يكون أي إنسان أتفق عليه فقط، بل حدد له مواصفات لتبوأ ذلك تتمثل حسبه في "***صفات فطرية وصفات مكتسبة، يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين***". لذلك ينبغي أن يكون الرئيس نبيا أو فيلسوفا، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال، فإذا لم يوجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الشروط ولكن وجد اثنان، أحدهما حكيم والثاني فيه الشرائط الباقية كانا هما رئيس هذه المدينة. فإذا تفرعت هذه الصفات في جماعة وكانت الحكمة في واحد، والثاني في واحد والثالث في واحد والرابع في واحد والخامس في واحد، والسادس في واحد وكانوا متلائمين كانوا هم الرؤساء الأفاضل.

3.2. المدينة غير الفاضلة: وهي كل البقاع التي لم يتسنى لها أن تبلغ شأو المدينة الفاضلة حسبه، حيث نجده يصنفها بدورها إلى عدة أنواع تتمثل في:

أ.المدينة الجاهلة: وهي التي لم يعرف أهلها السعادة ولم تخطر ببالهم، وجل اهتمام أهلها هو سلامة الأبدان والحصول على الثروة وممارسة اللذات، وهم يرون في ذلك سعادتهم، وهي تنقسم بدورها إلى عدة أقسام:

- المدينة الضرورية: ويقتصر أهلها على الضروري بما يحفظ عليهم صحتهم.
- المدينة الدالة: ويتعاون أهلها على بلوغ الثروة لذاتها.
- مدينة الخسة والشقاوة: ويتمحور جل اهتمام سكانها على التمتع باللذة المحسوسة.
- مدينة الكرامة: فيها يتعاون أهلها على أن يصيروا مكرمين ذوي عظمة وشهرة سواء بالقول أو بالعمل.
- مدينة التغلب: وغاية سكانها التغلب على غيرهم، وسعادتهم في هذه الغلبة.
- المدينة الجماعية: ويعيش قاطنوها كما يشاءون وليس لأحد منهم على أحد سلطة.
- مدينة النزالة: ويتعاون أهلها على جمع الثروة فوق ما يحتاجون ولا ينفقون منها.

ولا يتوقف أنواع المدن غير الفاضلة حسب **الفارابي** عند هذا الحد، بل يذهب إلى اعتبار أن هناك أنواع منها غلب عليها الزيغ والإنحراف، وهي:

ب.المدينة الفاسقة: وهي التي عرف أهلها ما يعرفه أهل المدينة الفاضلة، ولكن أعمالهم تشبه أعمال أهل المدينة الجاهلة.

ت. المدينة المتبدلة: وهي التي كان يعتقد أهلها ما يعتقده أهل المدينة الفاضلة من أراء ولكنهم تبدلوا، فدب الفساد في أرائهم وأفعالهم.

ث. المدينة الضالة: وهي التي لا يسير أهلها على العقيدة الصحيحة في الله والفعل الفعال، ويخدع رئيسها الناس ويدعي أنه موحى إليه.

ج. النوابت: وهم عبارة عن أناس يضرون بالمجتمع، وأمثال هؤلاء يتواجدون في المدن الفاضلة نفسها وفي غيرها من المدن

غير أن ما يعاب عليه حسب الكثير من المختصين، هو أنه رغم كثرة تنقله وسياحته بين عدد من المدن والأمصار (بغداد، دمشق، حلب)، لم يهتم بواقع المجتمعات فيوليها العناية اللازمة ويصف شؤونها وأحوالها وعاداتها كما فعل الرحالة الجغرافيون في الحضارة العربية، حيث أن بحثه كان تصورا مثاليا مستندا إلى أفكار سابقة شأنه شأن أكثر الفلاسفة من سابقيه.

ثانيا. ابن رشد (1126-1198): هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد، ولد في الأندلس وشغل قضائها، كما مارس الطب والفلسفة وعلم الفلك والفيزياء إلى جانب الفقه. ويعد إلى غاية يومنا هذا من أهم الفلاسفة العرب المسلمين، حيث قدم اسهامات جليلة في هذا الإطار يتقدمها تصحيحه لفهم بعض سابقيه كالفارابي وابن سينا لبعض نظريات أفلاطون وأرسطو

احتلت المدينة الفاضلة موقعا أساسيا في معالجات ابن رشد، وعد أن الهدف منها هو تمكين أهلها من تحقيق الكمالات الإنسانية التي شدد عليها، كما عد السياسة في مفهومها الحقيقي تقوم على خدمة الشعب، وفي كتابه: "**التدبير السياسي**" تحدث ابن رشد عن خمس (05) أنواع من المدن، وهي: **المدينة الفاضلة، المدينة الكرامية، المدينة الشهوانية، المدينة الجماعية، مدينة وحدانية التسلط.**

ويركز **ابن رشد** في نظرته للمدينة الفاضلة على جانب السياسة على غرار الفيلسوف اليوناني أفلاطون، حيث ابدى اهتماما بمواصفات رئيس المدينة الفاضلة والذي أفترض أن تتوفر فيه خمسة (05) شروط، وهي: الحكمة، التعقل التام، جودة الإقناع، جودة التخيل، القدرة على الجهاد بأن لا يكون في بدنه شيء يعوقه عن مزاولة الجهاد. على أن يتولى قيادتها حسبه فيلسوف كما هو الأمر عند أفلاطون، لكنه قد يكون ملكا للسنة كما هو الحال في المدينة الإسلامية، وهو ملك له علم بالشرائع وصناعة الفقه، كما له القدرة على الجهاد.

ويرجع **ابن رشد** السبب الرئيس في ندرة المدينة الفاضلة التي عرفت حسبه فقط في زمانين وهما عهد الخلفاء الراشدين، كما عرفتها أيضا المدينة الإسلامية في الأندلس، والتي نشأت فيها على غير الطريقة التي رسمها لها أفلاطون، إلى ندرة الفلاسفة الذين تجتمع فيهم الشروط المناسبة لذلك. على أنه لا يجعله المبرر الوحيد لذلك، بل يجعل وجود المدينة الفاضلة مرتبطا أيضا بوجود الفضلاء من الناس، فهذه المدينة تصبح فاضلة بالأعمال الصالحة والآراء الحسنة.

ولأجل ذلك، انتصر **ابن رشد** للجمال ولكل ما هو جميل في تربية الإنسان، وعد أن كل ما يفضي إلى الجمال هو مطلب في التربية الجمالية لناشئة المدن، فهو يريد لساكنة المدينة من الناشئة أن يحاصرهم الجمال من كل جانب، فيسمعوا ما هو خير، ويروا ما هو جميل، ويمارسوا بالتفكير والرياضة الجمال نفسه، وذلك بغية أن "***ترسخ فيهم الأفعال الجميلة من جميع الوجوه***". ما يعني أن **ابن رشد** كان يرى في الموروث الجمالي والمنتج الفني في المدينة أدوات رئيسية في التربية يتوسل بها إلى حمل النشئ على العمل بالفضائل منذ المهد ونوه إلى أن انحراف الفن وانعدام الجمال هو بداية الانحراف في المدينة، وربط الابتعاد عن الفن الجميل بافتقاد الفضيلة، واعتمد في ذلك على ظاهر الأشياء الجميلة وباطنها مؤكدا ضرورة الابتعاد عن البدع لأنها تسبب الضرر بسهولة في المدينة، وأقر بتعميم ربط فساد الفن بفساد الشرائع والنواميس، مشيرا بذلك إلى تركيبة مدينة خالية من الأخلاق، تعتمد في تسيير أمورها على القضاء الذي تخلو منه مدينته الفاضلة.

ثالثا: محمد ابن أبي الربيع (833-887م): هو الشيخ الإمام والعالم الأديب العلاّمة أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، عاش ما بين 218 هـ 272- الموافق 833-887م، وهو يعتبر أوّل فيلسوف إسلامي في العصر العبّاس الأول، ألف الكتاب للخليفة العباسي الثامن **المعتصم بالله بن هارون الرشيد** خلف الخليفة المأمون، وكان شهاب الدين أديباً فصيحاً من رجال الخليفة المعروفين، ومن أرباب الحكمة والسياسة.

يشير **ابن أبي الربيع** في مخطوطه الشهير الموسوم ب: "**سلوك المالك في تدبير الملوك على التمام والكمال**" إلى مجموعة من الشروط أو المبادئ التخطيطية التي يقول أنه استخلصها من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده أثناء بنائهم عاصمة الإسلام الأولى (المدينة المنورة)، والمدن العربية الإسلامية المبكرة (البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان). وهو مؤلّفه الوحيد الذي تحتفظ به المكتبة الإسلامية لحد الآن، طُبع في القاهرة سنة 1286هـ على الحجر في 152 صفحة من القطع الكبير، ويرجّح البعض أقوال العلماء الذين قالوا بأنّ لهذا العالم أعمالاً أخرى مفقودة، ويدل على ذلك عمق فكره الفلسفي السياسي، وإطلاعه الدقيق على أعمال غيره من العلماء، وهو كتاب مُشجّر، متنوّع في موضوعاته السياسية، والاجتماعية، والفلسفية، والرياضيات، وتخطيط المدن، التي تمّ عرضها بأسلوب تربوي وبإطار إسلامي، كتاب يجمع طُرَفاً من وصايا الحكماء والفلاسفة والعلماء، وبعض أحكام الأخلاق ودرجات الفضائل وأصناف السّيَر، ويُوجز أقسام السياسات وأحكامها، ويبيّن أهم أركان المُلْك وأوصاف البشر.

هذه الشروط ذكرها **ابن أبي الربيع** في الفصل الرابع من مخطوطه الشهير، وتحت الركن الرابع من أركان المملكة وهو التدبير، هذه المبادئ أو الشروط التي يجب أن يراعيها الحاكم (السلطة) تنقسم إلى نوعين، وهما:

1. شروط اختيار مواقع المدن: يقول ابن أبي الربيع، تعتبر في إنشاء المدن "ستّ شرائط"، مما يؤكد عمق الإدراك بهذه المعايير والشروط التي تميز المواقع الصالحة لإنشاء المدن، وهي):

فالماء شرط أساسي في اختيار مواقع المدن، عليه تقوم الحياة، وسعة المياه نظرة مستقبلية لازدياد متوقع في عمران المدينة. أما توفير الغذاء فهو شرط أساسي لنشأة المدن واستمرار حياتها، فيكون موقعها مرتبط بالإقليم وبالطرق التجارية الرئيسية فينعكس ذلك على رخائها، ويؤكد شرط اعتدال المكان على أهمية المناخ والاعتبارات الصحية في اختيار المسلمين لمواقع مدنهم، نظرا لأهمية التفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعة.

كما أنّ توفر الزرع والمرعى والوقود والغذاء والأخشاب اللازمة للبناء من مقومات ازدهار المدن لتأمين مصادرها واحتياجاتها الأولية، وعند اختيار موقع المدينة فلا بد من تحصينها بالمعالم الطبيعية الحاجزة التي تعين على دفع الأخطار (نهر مثلا)، وزيادة على ذلك يجب إحاطتها بأسوار زيادة في التحصين والحماية.

2. شروط تخطيط مواضع المدن: لقد نضجت كتابات علماء السياسة الشرعية في مجال عمران المدن، وحددوا الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم عند إنشاء أية مدينة، ومن هذه الأسس ما ذكره ابن أبي الربيع في كتابه الشهير فهو يقول "ويجب على من أنشأ مدينة أو اتّخذ مِصْرا ثمانية شروط"، وهي:

- أنْ يسوق إليها الماء العذب ليشرب ويسهل تناوله من غير عزف.
- أنْ يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق
- أنْ يبنى فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.
- أنْ يُقدّر أسواقها حتى ينال سكانها حوائجهم عن قُرب.
- أنْ يميِّز بين ساكنيها بأن لا يجمع بين أضدادِ مختلفة ومتباينة.
- إنْ أراد سُكْناها فَلْيسكن أفسح أطرافها ولْيجعل خواصه كُفالَهُ من سائر جهاته.
- أنْ يحوطها بسور خوفا من اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دارٌ واحدة.
- أنْ ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكنها حتى يكتفوا بها ويستغنوا عن الخروج لغيرها.

رابعا. **إسهامات أخرى لتراث الفلسفي الأدبي العربي**: الاهتمام بالمجتمع الفاضل والبحث عنه، مسألة لم ينحصر مداها عند من سبق ذكرهم فقط، بل نجدها أيضا في طيات صفحات كتب فصيل أخر معتبر من الفلاسفة العرب بل وحتى بعض أهل الأدب منهم، إلا أنها كانت أقل اهتماما في محتواها بعالم المدينة من قريب أو بعيد، كما سنورده في التناول اللاحق.

1) إسهامات الجاحظ* **(767–869م)**: طرح الجاحظ مجموعة أراء قيمة لتأسيس مدينته على ثوابت متينة، وبدأ برسم لوحة لمجتمع المدينة قادرة على أن تتصدى لمشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية بأسلوب جمالي بياني يفصح عن جوانب القبح الظاهري والجوهري، يرى فيها أن الفرد في المدينة كائنا سياسيا

*. هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري، عمر نحو تسعين (90) عاما وهو الذي ولد في البصرة وتوفي فيها. يعد من رواد الأدب في العصر العباسي إلى جانب إسهاماته الكثيرة في العديد من المجالات الأخرى، ك: علم الكلام، الأدب، السياسة، التاريخ، الأخلاق، النبات والحيوان، الصناعة وغيرها.

لا يمكن فصله عن مجتمعه، عليه أن يتحلى بالحرية والانفتاح وتبادل الرأي على أن الفرد يمثل العالم الأصغر الذي يسهم في بناء العالم الأكبر والذي هو المدينة، من وجهة نظر تحمل المسؤولية.

ووضع **الجاحظ** السلطة بالرأس الذي يوجه سائر الأعضاء نحو الخير المشترك ويكبح شططهم، وعد الخليفة عاهلا زمنيا ورئيسا دينيا، واستخدم الدين نظاما أخلاقيا ينمي الفضائل في مختلف طبقات الشعب، وقرن قيام المدينة المتحررة بتوافر العقل الصقيل والحكمة على أنقاض ثقل العادات والتقاليد والخرافات والحماقات التي صنفها بمصاف السخافة والجهل، وشبه المدينة بالكائن الحي الذي ينمو بإطراد، ودرس بالتفصيل أنواع تأثير البيئات المختلفة في السلوك الإنساني، وأعلن في خطابه أن فوارق المدن تتبع الإمكانات والمواهب والأخلاق والبيئة التي يعيشها السكان، وحث الأفراد أن يشغلوا مكانا مرموقا بمدينتهم لا بد أن يصلوا بها إليه.

وشدد **الجاحظ** على وجوب تفادي قبول عشر (10) صفات قبيحة، لأن ذلك من شأنه أن يقود إلى تدهور الأوضاع فيها، وهي: **الضيق في الملوك، الغدر في ذوي الأحساب، الخديعة في العلماء، الكذب في القضاء، الغضب في ذوي الألباب، السفاهة في الكهول، المرض في الأطباء، الاستهزاء في أهل البؤس، الفخر في أهل الفاقة، الشح في الأغنياء.**

2) **إخوان الصفا**: يعرف إخوان الصفا بأنهم جماعة من فلاسفة المسلمين العرب من أهل القرن الثالث هجري (العاشر ميلادي) بالبصرة. أتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبوا في ذلك نحو خمسين (50) مقالة سموها: "**تحف إخوان الصفا**"، وهم الذين فهموا العالم وكائناته من خلال الإنسان وطبائعه، وجعلوا من الإنسان عالما صغيرا يتوافق مع الكبير في جزئياته وفرعياته، ورأوا العالم من خلال الإنسان وفهموا المدينة من خلاله وواعوا الإنسان من خلال المدينة، فجسدوا الإنسان مخلوقا على مثال المدينة، والمدينة مصممة على مثال معمار الإنسان، "***كحكم مدينة حولها أسوار، وفي داخلها محال وخانات ونواح، فيها شوارع وطرقات وأسواق، خلالها منازل ودور فيها بيوت وخزائن، فيها أموال وأمتعة وأثاث وألات وحوائج، يملكها كلها ملك واحد، له في تلك المدينة جيوش ورعية وغلمان وحاشية وخدم وأتباع، وحكمه جار في رؤساء جنده وأشراف مدينته وتناء بلده، وحكم أولئك الرؤساء والأشراف والتناء جار في أتباعهم، وحكم أتباعهم فيمن دونهم إلى أخره. وإن ذلك الملك يسوس تلك المدينة وأهلها على أحسنها من مراعاة أمورهم واحدا واحدا، صغيرهم وكبيرهم، أولهم وأخرهم، لا يبخل بواحد منها***". وقد خصص إخوان الصفا فصلا من رسالة (في تركيب الجسد) لمجاز الإنسان/ المدينة، وأوضحوا فيه: "***أن فضيلة المدينة تأتي من جمال ورقي تفكير سكانها، فالمدينة حين تفقد تركيبها الحضاري المصاغ على نسبة معمار الإنسان، تفقد إنسانيتها وفضيلتها ولا تعود مدينة، وتصبح أقل من مدينة فتتوحش***".

3) أبو العلاء المعري (973-1057): تتمحور فكرة المدينة الفاضلة عند **المعري** التي قدمها في كتابه الموسوم ب: **رسالة الغفران**، كقصة خيالية تتضمن رموزا وإشارات وتصريحات تحمل في ثناياها أصداء موقف فلسفي من الدين والدنيا وضعه صاحبه في قالب أدبي، والذي استهدف به النخبة الفكرية والفلسفية أنذاك، من خلال صياغة كلامه بقالب غامض فيه حشد كبير من الألفاظ، ركز فيه على نقد الكثير من القضايا الاجتماعية كانتشار مظاهر الترف والمجون، وغلبة ظاهرة الوساطة، وتهالك الناس على الملذات والنفاق والخصام والطبقية، وكثير من القضايا السياسية كجور الحكام والتعالي على الرعية ولهو رجال الحكم وانصرافهم إلى حياة الملذات والترف والتزلف إلى الحكام، كما حارب في مدينته تنازع المعتقدات وأساطير رجال الدين، داعيا إلى الحرية الفكرية والإبداع وفق عقيدة الفيلسوف الزاهد المتمكن من المنطق كدليل أخلاقي، لتكون بذلك الفضيلة هي المكافأة الوحيدة لسكان المدينة.

4) ابن ظفر (1102-1169م): عاش ابن ظفر في حقبة اتسمت بالمنافسة الشديدة على الحكم، وهو ما أنعكس على تصوراته لمدينته الفاضلة والتي أسسها على كيان الحاكم المطاع، والذي تجلى بشكل واضح في مؤلفه الشهير: "**سلوان المطاع في عدوان الأتباع**" والذي ضمنه مجموعة من النصائح على شكل قواعد في فن أصول الحكم، وأهداه لقائد صقلية **أبي عبد الله القرشي**، وفيه قسم سكان المدينة إلى ثلاث: حاكم، وذوي القربى والرعية.

وطالب المطاع أن يفوض أمره إلى الله وأن يحسن التدبير والتصرف، وأن يستخدم الحيلة إلى جانب القوة ما استطاع حتى يحافظ على نفسه وحكمه، كما نصحه بالرضى والصدق والزهد والصبر على الشدائد التي يمكن أن تصيب حكمه، بالإبقاء على الحد الأدنى من الحقوق للمحكومين وإلا تمردوا عليه، وفي ذلك يقول: " ***أيدي الرعية تبع لألسنتها، فإذا قدرت أن تقول قدرت أن تصول... ترك نكيد الصغائر مدعاة إلى الكبائر... عليك بالصبر وكف الأذى وبسط العدل والإحسان وتأمين السبل وإجارة المستجير وتأليف المستوحشين والأخذ بالفضل والعفو***".

وبحدد **ابن ظفر** ركائز الحكم وفضيلة ذات الملك بخمس (05) خصال، وهي: رحمة تشمل رعيته، يقظة تحوطهم، صولة تذب عنهم، ولبابة يكيد بها الأعداء، وحزامة تنتهز الفرص.

المراجع المستخدمة في المحاضرة

1) محمد سيد أحمد صقر: **نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية**، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، 1989.

2) خليف مصطفى غرايبة: منهجيّة الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية: ابن أبي الربيع أنموذجا، في: **المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية**، المجلد 08، العدد 01، 2015.

3) محمد حسن مهدي: **المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، 2014.

4) عبد الواحد وافي: **المدينة الفاضلة للفارابي**، نهضة مصر للطباعة والنشر.

5) يسار عابدين & بيار نانو: مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، في: **مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية**، المجلد 28، العدد الأول، سوريا، 2012.

6) سام بوسو عبد الرحمان: **المدينة الفاضلة عند الشيخ الخديم**، 2011.